

# الخبزُ يا بني بحدروا

جانيت أوك



ophir

# المحتويات

١. الحاصدُ الرَّهيبُ ..... ٧
٢. ماما لِمِسي ..... ١٥
٣. زواجُ مصلحة ..... ٢٠
٤. لقاءُ صباحي ..... ٢٧
٥. لِيَتَنِي أَسْتَطِيعُ الاحتمال ..... ٣٦
٦. تنظيفُ البيت ..... ٤٢
٧. زائرةٌ مُرَحَّبٌ بها ..... ٤٩
٨. إِنَّهُ عَالَمٌ قَاسٍ ..... ٥٦
٩. يَوْمُ الرَّبِّ ..... ٦٥
١٠. ذَبْحُ خَنَازِيرَ عِنْدَ الجيران ..... ٧٣
١١. أَلْفَةٌ بِلا كُفَّة ..... ٧٧
١٢. إنجَازُ خِياطِتي ..... ٨٠
١٣. أَلين ..... ٨٦
١٤. مِسي ..... ٩٢
١٥. سِرٌّ مَكشُوف ..... ١٠٢
١٦. مُتَفَهِّمٌ وَمُهْتَمٌّ ..... ١٠٦

- ١١١ ..... ١٧. غِيَابُ غَامِضٍ
- ١١٦ ..... ١٨. تَحْضِيرَاتُ عِيدِ الْمِيلَادِ
- ١٢١ ..... ١٩. فِي حَبْسِ التَّلْجِ
- ١٣٣ ..... ٢٠. زِيَارَةٌ مِنْ مَا غَرَاهَامِ
- ١٤٢ ..... ٢١. طِفْلٌ جَدِيدٌ
- ١٤٨ ..... ٢٢. مَا غَرَاهَامِ تَكْشِفُ قَلْبَهَا
- ١٥٣ ..... ٢٣. زَائِرَاتٌ
- ١٦٤ ..... ٢٤. اِكْتِشَافَاتٌ جَدِيدَةٌ
- ١٦٧ ..... ٢٥. كَارِثَةٌ!
- ١٧٦ ..... ٢٦. مَعُونَةٌ فِي بِنَاءِ حَظِيرَةٍ
- ١٨٠ ..... ٢٧. لُورَا
- ١٨٤ ..... ٢٨. الْيَوْمُ الْكَبِيرُ
- ١٩٠ ..... ٢٩. زَرْعٌ
- ١٩٧ ..... ٣٠. حُزْنٌ
- ٢٠١ ..... ٣١. قُوَّةٌ جَدِيدَةٌ
- ٢٠٥ ..... ٣٢. الْحُبُّ يَأْتِي بِهَدْوَةٍ

## الحاصدُ الرَّهيبُ

أشرفتُ شمسُ الصُّباحِ ساطعةً على شادرِ العَرَبَةِ المُغطَّاةِ، واعدةً بنهارِ دافئٍ على نحوٍ غيرِ مألوفٍ للمناخِ في مُنتصفِ تشرينِ الأوَّلِ/أكتوبرِ. كافحتُ مارتي لأجلِ الاستيقاظِ، خارجةً بِبطءٍ من نومٍ مُضطربٍ ومُتقطعٍ. لماذا شعرتُ بهذا القدرِ من الثقلِ والانزعاجِ، هي التي كانت تستيقظُ عادةً بحماسةٍ وتأهبُ لمغامرةٍ كلِّ يومٍ جديدٍ؟ ثُمَّ رَجَعَ إليها ما جرى كَسَيْلٍ، فَرَمَتْ نَفْسَهَا وصارتُ كومةً واحدةً على اللِّحافِ الذي كانت قد نهضتُ من تحتهِ تَوًّا. وهَزَّ البُكاءُ المُتقطعُ السَّرِيعُ جِسْمَهَا، فضغَطَتِ الغِطاءَ على وجهها لِتَكْتُمَ الصَّوتَ.

لقد رحلَ كليم! وكانت حقيقةً ذلك لا تكادُ تُصدِّقُ. فقبلَ أقلِّ من سنتينِ، استطاعَ كليمُ القويُّ المِغامِرُ الفَتِيَّ، بِسرعةٍ وسهولةٍ، أن يجعلها تُحِبُّه. وإذ كان واثقًا بنفسه وجريئًا، أسَرَ قلبَها ويدها. ثُمَّ بعد ذلك بأربعةِ عَشَرَ شهرًا باتتِ امرأةٌ مُتزوِّجةٌ بعيدًا في الغربِ، حيثِ ابتدأتُ مُغامرةً جديدةً وحافلةً بالتحدِّي مع الرَّجُلِ الذي أَحَبَّته...حتَّى يومِ أمسِ.

وبَكَتِ قائلةً: أه، كليم! لقد انهارَ عالمُها كُلُّه حولَها لما جاء الرَّجُلُ لِيُخبرِها بأنَّ كليمَ تُوفِّي. لقد ماتَ فورًا، إذ سقطَ حِصانُه. وكان عليهم أن يَفِضُوا على الحصانِ. هل أرادتُ أن تذهبَ معهم؟

لا، ستبقى .

أتودُّ أن تأتي زوجةً أحدهم إليها؟

لا، ستدبّر الحال .

وتساءلت كيف استطاعت حتى إخراج الكلمات من شفّتها.

سيهتّم الرجالُ بالجنّمان، كما قال لها أحدهم؛ فزوجته تتقن ذلك . والجيران سيُرتّبون الدفن . ومن حسن الصدف أنّ القسيس كان يقومُ بزيارته في أنحاء المنطقة . كان سيرحلُ اليوم، ولكنهم كانوا على يقين بأنّه سيبقى . أهي مُتيقنةٌ بأنّها لا تُريد أن تذهبَ معهم؟

لن تذهب، وستكون بخير .

شقَّ عليهم أن يتركوها وحدها .

كانت بحاجة لأن تبقى وحدها .

سيرونها غداً . فلا داعي لأن تقلق . هم سيهتّمون بكلّ شيء .

شُكرًا لكم ...

ثمّ مضوا، آخذينَ معهم عزيزها كليم، ملفوفًا بواحدةٍ من بطانيئاتها القليلة، ومربوطًا على ظهر حصان . كان ينبغي للجار اللطيف أن يكون راكبًا على الحصان، ولكنّه كان الآن يقوده على مهل، مُنتبهاً إلى حمّله .

ها هو الغدُّ قد حلَّ الآن، والشَّمسُ مُشرقة . فلماذا كانت مُشرقة؟ ألم تعلم الطَّبِيعَةُ أنّ هذا اليومُ ينبغي أن يكون معدومَ الحيويّة على غرارِ شعورها هي، تهبُّ فيه ريحٌ باردة كالفُشعريرة التي استولت على قلبها؟

كان ينبغي أن تملأها بالهلع حقيقةً كونها بعيدًا في الغرب إبانَ خريفِ السّنة، ولا سبيلَ للرُّجوع إلى الديار، وليس بقربها أحدٌ تعرفه، فضلًا عن كونها تنتظرُ طفلَ كليم . ولكن في هذا الحين كان الأمرُ الوحيدُ الذي استطاعَ عقلها أن يستقرّ عليه وقلبها أن يدركه هو الألم الطّاعي من جرّاء خسارتها الفادحة .

بَكَتْ بِصَوْتِ عَالٍ قَائِلَةً: ”أه كليم! واه كليم. ماذا سأفعل دونك؟“ ودفنت وجهها مُجدِّدًا في اللحاف.

كان كليم قد جاء إلى الغربِ النَّائي بحماسةٍ مُتَّقدةً جدًّا. لقد قال مُتهلِّلاً: ”سنجدُ كلَّ ما نحتاجُ إليه هناك في البلَدِ الجديد. الأرضُ بانتظارٍ مَنْ يَضَعُ يَدَهُ عليها“.

فقالَتْ مُتَعَثِّمَةً: ”ماذا عن الحيوانات البريَّةِ والهُنودِ الحُمْر؟“ فضحكَ على سذاجتها، وشالها بذراعيه القويَّتين، وأدارها في الهواء. قالت بقلقٍ: ”وماذا عن البيت؟ سيكون الشتاء قد بدأ تقريبًا لدى وصولنا إلى هنا“.

”سيُساعدنا الجيران على بناء بيت. سمعتُ كلَّ شيءٍ عن عونهم. إنهم يُساعدون بعضهم بعضًا في القيام بما يجبُ القيامُ به بعيدًا هناك“.

وكان ذلك صحيحًا. فمن شأن أولئك قاطني المناطق الحدودية الصَّلاب المنتشرين في أنحاء البراري أن يتركوا غلالهم الغالية جدًّا واقفةً في الحقول، إذا دعتِ الصُّرورة، فيما يبذلون من وقتهم ليقيموا سقفًا فوق وافِدٍ جديدٍ مُحتاج، ولو كان مغرورًا ومُتهورًا بعض الشيء؛ لأنهم أخبرُ منه كثيرًا بضراوة رياح الشتاء.

لقد طمأنها كليم: ”سندبُرُ حالنا جيّدًا هناك. لا ترهقي نفسك بالقلق، يا مارتِي“. وبشيءٍ من التردُّد، باشرت مارتِي التَّحضيرات للرحلة الطويلة في قافلة العرَبات كي تسعى في إثرِ حُلْمِ زوجها المحبوب.

بعدَ عدَّةِ أسابيعٍ من السَّفر، عثرا على بيتٍ مزرعةٍ في منطقةٍ وِمرَاعٍ وتلالٍ مَوْجة، فأجرى كليم بعضَ الاستفسارات. وعلى فُنجانٍ قهوةٍ وُدِّيٍّ، أخبرهما المزارعُ بأنَّه امتلكَ الأرضَ وصولًا إلى جدولِ الماء، ولكنَّ الأرضَ الواقعةَ وراءَ ذلك، صُعودًا إلى التَّلال، لم تُستملكَ بعد. وبجهدٍ، ضبَطَ كليم نفسه عن الهُتافِ في الحال. فكان في وُسعِ مارتِي أن تلاحظَ أنَّ مُجرَّدَ كونِ كليم قريبًا جدًّا من تحقيقِ حُلْمه ملاءةً بالأملِ الجامح. وإذ شكرا جازهما العتيد، استأنفا التقدُّم، مُسافرَيْنَ أسرعَ قليلًا من

أن تحتل العربة التي كثيراً ما أصلحت. فلما لاح مقصدهما للعيان، انخلعت عجلة أخرى، وكان إصلاحها مُتَعَدِّراً هذه المرّة.

خيمًا تلك الليلة وهما على أرض الجار بعد، وكوّم كليم حجارةً وخشبًا تحت العربة الخربة، في محاولةٍ منه لجعلها تستوي قليلاً. ثم في الصباح تكشّف لهما مزيدٌ من النكد. فأخذ الحصانين فرّ في أثناء الليل، وحبله المقطوع ما زال يتدلّى من الشجرة. وركب كليم على الحصان الآخر ليُفتش عليه. إذ ذاك وقعت الحادثة، والآن لن يرجع. فلن تكون أرضٌ مُستملكةٌ باسمه، ولا بيتٌ يقومُ شامخاً وراسخاً ليحمي زوجته وطفله.

انتحبت مارتني من جديد، ولكنها سرعان ما سمعتُ جلبةً خارج العربة، فاختلست النظر بفؤادٍ مخلوعٍ من خلال الشادر. وإذا ببعض الجيران هناك... أربعة رجالٍ مُتجهّمي الأوجه ينقبون بصمتٍ ووقار تحت شجرة الراتينج الكبرى. وإذا أدركت ما يعنيه حفّهم، نهش نفسها عذابٌ جديد. إنّه قبرُ كليم. لقد كان الأمرُ صحيحاً حقاً؛ فهذا الكابوس الرهيب كان جارياً بالفعل. لقد رحل كليم، وها هي من دونه. وسيُدفن في أرضٍ مُستعارة.

”أه كليم! ماذا سأفعل؟“

بكت حتى جفت دموعها، واستمرّ النقب. كان في وسعها أن تسمع كَشَطَ الرُفوس، وبدت كلُّ شَكَّةٍ طاعنةً أعمق في قلبها.

بلغتها أصواتٌ أخرى، فأدركت أنّ جيراناً آخرين كانوا مُقبِلين. عليها أن تتمالك نفسها وتتماسك. فما كان كليم ليُريد لها أن تختبئ مُزويةً داخل العربة.

نهضت عن اللحاف وحاولت أن ترتب شعرها الأشعث. وارتدت بسرعة فُستانها القطني الأزرق الداكن، إذ بدا الأليق بالمناسبة، ثم انتزعت منشفةً ومُشطها وانسلت إلى خارج العربة، نازلةً إلى النبع كي تغسل دموعها وتُسوِّي شعرها المُتشابك. ولما فعلت ذلك، قومتُ كتفها ورفعَت ذقنها، ثم رجعت لتُلاقِي المجموعة الصّغيرة الكثيفة المُجمّعة تحت شجرة الراتينج.



كان في جميعهم لطفٌ وعطفٌ. واستطاعت أن تُحسّ ذلك. لم يكن ذلك شفقةً، بل كان تفهّمًا. فهذا كان الغرب، والأمور قاسيةٌ هنا في تلك الأراضي البعيدة. والأرجح أن كلَّ شخصٍ هناك تقريبًا واجهَ وقتًا مُثاليًا، ولكنَّ أحدًا لم يِرْخَ تحته. فما كان من وقتٍ أو طاقةٍ للرتاء هنا، لا للذات ولا من بعض إلى بعض. كان الأمر يقتضي كيانك كلّه كي تقبلَ حقيقةَ أن الموتَ جزءٌ من الحياة، وأنَّ الحزنَ أمرٌ يتعدّرُ اجتنابُه، ولكنَّ لا بُدَّ لك من النهوض والمُضيّ قُدّمًا.

نفوّه القسيسُ الرّائر بكلماتِ الدّفن، مُودِعًا جُثمانَ كليمٍ في تُرابِ الأرض، ونفسه بين يديّ الله. وتكلّمَ أيضًا إلى المفجوعين، وقد كانوا في هذه الحالة شخصًا صغيرًا موحشًا واحدًا، أي أرملةً المتوفى؛ إذ لا يكادُ يسعُ المرءُ أن يحسبَ الطِفَلَ الذي كانت حاملًا به واحدًا من المفجوعين، حتّى لو كان طِفَلٌ كليم.

تكلّمَ القسيسُ ماغنوسن كلامًا يليقُ بالمناسبة، كلامٌ تعزّيّةٌ وتشجيع. وأصغى الجيرانُ بتعاطفٍ صامتٍ إلى الآياتِ المألوفة التي سبقَ أن سمِعوها في مُناسباتٍ مُثائلة. ولمّا انتهتِ المراسمُ الوجيزة، عادتِ مارتي مُطرقةً الرأس من القبر نحوَ العرّبة، فيما رجَعَ الرّجالُ الأربعةُ برُفوشهم إلى مهمّةِ هَيْلِ التُّرابِ على التّابوتِ الخشبيّ المتين الذي كانوا قد أتوا به. وبينما مارتي تمشي مُبتعدةً، تقدّمت امرأةٌ ووضعت يدها على كتفها النّحيلة.

قالتِ الجارةُ بصوتٍ خفيض: "أنا واندا مارشال. أسفّةً لعدم امتلاكنا أكثرَ من العُرفة الواحدة، ولكنَّ أهلاً بكِ لمُشاركتنا فيها بضعةَ أيّامٍ إلى أن ترتبي أمورَك". فتكلّمتِ مارتي بما يُشبه الهَمْس: "شُكرًا جزيلًا على تفضّلِكَ. ولكنني لا أريدُ أن أثقلَ عليكم. ثمَّ إنني أظنُّ أنني سأكتفي بالبقاء هنا إلى حين. يُعوزني وقتٌ حتّى أفكّر".

أجابتِ المرأةُ: "أنا أتفهّم الأمر"، مُربّنةً تربيتةً خفيفةً، ثمَّ مضت في سبيلها. واصلتِ مارتي سيرها نحوَ العرّبة، ثمَّ استوقفت ثانيةً، هذه المرّة بيدٍ رقيقةٍ لامرأةٍ أكبر سنًا.

"ليس هذا وقتًا هيئنا عليك، كما أعلم. لقد دفنتُ زوجي الأوّل منذ سنين



كثيرة، وأعرِفُ كيف تشعُرِينِ“. وبعدمَا تَوَقَّفَت دَقِيقَةً أَضَافَتْ: ”لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ أُتِيحَ لَكَ وَقْتُ اللَّتَّخِطِيطِ“. وَإِذْ هَزَّتْ مَارْتِي رَأْسَهَا قَلِيلًا، تَابَعَتِ الْمَرْأَةَ: ”لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكَ مَكَانًا تَبْقَيْنِ فِيهِ؛ فَبَيْتُنَا مَلَان. وَلَكِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكَ شَيْئًا تَأْكَلِينَهُ. وَإِذَا أَرَدْتَ نَقْلَ عَرَبَتِكَ إِلَى فِينَانَا، يُسَعِدُنَا أَنْ نُسَاعِدَكَ عَلَى حَزْمِ أَمْتِعَتِكَ، وَزَوْجِي بَن، بَنِ غِرَاهَام، سَيُسَعِدُهُ جَدًّا أَنْ يُقَلِّكَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَتَى بَتُّ مُسْتَعَدَّةٌ لِلذَّهَابِ“.

فَتَمَتَّتْ مَارْتِي: ”شُكْرًا لَكَ، لَكِنِّي أَظُنُّ أَنِّي سَأَمُكُثُ هُنَا إِلَى حِينِ“.

كَيْفَ يُمَكِّنُهَا أَنْ تَشْرَحَ أَنَّهَا لَا تَمْلِكُ أَيَّ مَالٍ كَيْ تَبْقَى، وَلَا حَتَّى لَيْلَةً وَاحِدَةً، وَلَيْسَ لَهَا أَيُّ رَجَاءٍ فِي الْحُصُولِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ؟ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْعَمَلِ تَسْتَطِيعُ امْرَأَةٌ شَابَّةً، عَدِيمَةً الْخُبْرَةَ، فِي وَضْعِهَا، أَنْ تَحْصُلَ عَلَيْهِ؟ وَأَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ كَانَ هُنَاكَ لَهَا، عَلَى كُلِّ حَالٍ؟

نَقَلْتَهَا قَدَمَاهَا بِطَرِيقَةٍ مَا إِلَى الْعَرَبَةِ، وَرَفَعَتْ يَدًا ثَقِيلَةً إِلَى سِتَارَةِ الشَّادِرِ. لَمْ تُرِدْ إِلَّا أَنْ تَنْسَلَّ وَتَتَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ، وَتَدَعَّ الدُّنْيَا تَنْهَارًا عَلَيْهَا.

كَانَ الدَّاخِلُ حَارًّا عِنْدَ الظَّهِيرَةِ، وَجَعَلَ تَدْفُقُ الْهَوَاءُ السَّاخِنَ رَأْسَهَا الْمُصَابَ بِالذُّوَارِ أَصْلًا يُدَوِّمُ تَدْوِيمًا. فَزَحَفَتْ إِلَى الْخَارِجِ مُجَدِّدًا وَقَعَدَتْ عَلَى الْعُشْبِ إِلَى جَانِبِ الْعَرَبَةِ الظَّلِيلِ، سَانِدَةً ظَهْرَهَا إِلَى الْعَجَلَةِ الْمَخْلُوعَةِ. وَبَدَأَ أَنَّ حَوَاسِهَا تَتَحَايَلُ عَلَيْهَا. إِذْ عَصَفَتْ زَوْبَعَةُ الْحَزَنِ فِي رَأْسِهَا دَوَّارَةً، جَاعِلَةً إِيَّاهَا تَسَاءَلَ عَمَّا كَانَ بِالْحَقِيقَةِ وَاقِعًا وَمَا تَخَيَّلْتَهُ. وَبَاتَتْ تَتَلَمَّسُ ذَهَبِيًّا عَسَى أَنْ تُدْرِكَ مَعْنَى مَا لَدَيْكَ كُلَّهُ، فَإِذَا بَصَوَتْ رَجُلٌ يَجْعَلُهَا تُجْفَلُ بِقُرْبِهِ إِلَيْهَا.

”سَيِّدَتِي“.

رَفَعَتْ رَأْسَهَا وَنَظَرَتْ إِلَى فَوْقِ. وَإِذَا بِرَجُلٍ يَقِفُ أَمَامَهَا وَقُبَّعْتَهُ فِي يَدِهِ يَمْسُهَا بِأَصَابِعِهِ عَمْدًا وَهُوَ يَتَنَحَّنِحُ. فَعَرَفْتَهُ بِغُمُوضٍ؛ إِذْ كَانَ وَاحِدًا مِنْ حَامِلِي الرُّفُوشِ. وَقَدْ نَمَّ طَوْلُ قَامَتِهِ وَبَنِيَّتُهُ عَنِ الْقُوَّةِ، وَكَانَ حَوْلَ عَيْنَيْهِ تَجَاعِيدٌ نَاقِضَتْ مَلَاحِمَ شَبَابِهِ. وَنَظَرَتْ عَيْنَاهَا فِي وَجْهِهِ، إِلَّا أَنَّ شَفَتَيْهَا أَبَتَا أَنْ تَتَجَاوَبَا.

بَدَأَ أَنَّهُ يَسْتَمِدُّ شَجَاعَةً مِنْ مَكَانٍ مَا فِي أَعْمَاقِ نَفْسِهِ، وَتَكَلَّمَ ثَانِيَةً.

”سيدتي، أعلم أن هذا الأمر في غير أوانه، إذ قد دفنت زوجك تَوًّا بعد كلِّ ما كان. ولكنتي أخشى ألا تنتظر المسألة وقتًا ومكانًا أنسب“.

ثمَّ نظفَ حنجرتَه مُتَنَحِّحًا من جديد. ورفعَ نظره عن القُبعة التي في يديه.  
قال مُسرِّعًا: ”اسمي كلارك ديفيس، ويبدو لي أننا كلانا نحتاجُ أحدنا إلى الآخر“.  
وجعلته شهقةً نفسٍ حادةً من مارتي يتوقَّف، ثمَّ يرفعُ يداً.

وما لبثت أن قال لها بما يُشبهُ الأمر: ”الآن، مهلاً دقيقة. ما هي إلا مسألة أمرٍ منطقيٍّ بسيط. لقد فقدتِ رجلك، وأنا هنا وحدي“. وألقى نظرةً على عجلة العربة المخلوعة، ثمَّ قعدَ القُرُفصاء ليتكلَّم مباشرةً إليها.

”أظنُّ أن ليس لديك مالٌ لتعودي إلى أهلك، إذا كان لك أهلٌ لتعودي إليهم. حتَّى لو صحَّ ذلك، فليس من قافلة متوجِّهة إلى الشرق تمرُّ من هنا قبل الربيع التَّالي. والآن، أنا أيضًا في حاجة“.

توقَّف هناك ونظرَ إلى تحت. ومرَّت دقيقةٌ قبلما رفعَ نظره وحدَّقَ إلى وجهها.  
”عندي طفلةٌ لا تعدو كثيرًا كونها مخلوقةٌ ضئيلة... وهي تحتاجُ إلى ماما. والآن، كما أرى، إذا تزوجنا، أنتِ وأنا...“. وأشاحَ بنظره بعيدًا لحظةً، ثمَّ أدارَ وجهه نحوها من جديد، متابعًا: ”يُمكننا أن نحلَّ كلتا هاتين المُشكلاتين. كان مُمكنًا أن أنتظر، ولكنَّ الواعظَ باقٍ هنا اليوم فقط، ولن يرجعَ قبلَ نيسان/أبريل أو أيار/مايو المُقبلين، لذا ينبغي أن يتمَّ الأمرُ اليوم“.

ولا بدُّ أن يكونَ قد لاحظَ في وجهها الرُّعبَ الخالصَ الذي كانت تشعُرُ به.  
ثمَّ قال مُتلعثمًا: ”أعرِف، أعرِف. لستُ أبدو لائقًا، ولكنَّ أيُّ شيءٍ آخر هناك؟“  
أيُّ شيءٍ آخر حقًّا؟ عبارةٌ هاجتَ وماجتَ في عقلِ مارتي: أفضلُ أن أموتَ أولًا... ذلك كلُّ ما في الأمر. أفضلُ أن أموتَ على أن تتزوَّجني أنت... أو أيُّ رجلٍ. اذهب من هنا. اغرُب عن وجهي.

ولكنَّه لم يقرأ أيَّ مزيدٍ من أفكارها المُصطخبة، وتابعَ كلامه: ”ما زلتُ أكافحُ كلَّ حين، مُحاولًا أن أكونَ بابا وماما معًا لمسي، ولستُ بناجح كثيرًا في ذلك أيضًا، فيما أحاولُ الاعتناء بالأرض وكلِّ شيء. عندي قطعةٌ أرضٍ وكوخٌ مُريحٌ نوعًا ما،

رُغْمَ كونهِ صَغِيرًا. وفي وَسْعِي أَنْ أُوقِرَ لِكَ كُلِّ مَا تَحْتَاكُ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مُقَابِلَ رِعَايَتِكَ لِمَسِي. أَنَا عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّكَ تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَتَعَلَّمِي أَنْ تُحْيِيَهَا. إِنَّهَا كِيَانٌ صَغِيرٌ مِنَ الْحَيَوِيَّةِ فَعَلًا.“ ثُمَّ تَوَقَّفَ قَلِيلًا لِيُضِيفَ: ”وَلَكِنَّهَا سَتَكُونُ بِحَاجَةٍ إِلَى يَدِ امْرَأَةٍ، عَزِيزَتِي مَسِي، لَيْسَ غَيْرِ. فِي وَسْعِكُمَا أَنْتَ وَمَسِي أَنْ تَتَشَارَكَا فِي عَرَفَةِ النَّوْمِ. وَأَنَا سَأَخُذُ السَّقِيفَةَ الْمُلاصِقَةَ الْمَائِلَةَ السَّطْحِ، وَ...“ ثُمَّ تَرَدَّدَ قَلِيلًا، وَأَضَافَ: ”سَأَعِدُكَ بِهَذَا أَيْضًا. عِنْدَمَا تَمُرُّ قَافِلَةُ الْعَرَبَاتِ الْمُتَّجِهَةِ شَرْقًا إِلَى حَيْثُ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَسْتَقْلِي مَرَكِبَةً عُمُومِيَّةً، إِذَا لَمْ تَكُونِي سَعِيدَةً هُنَا، فَسَأَتَوَلَّى دَفْعَ أَجْرَةِ السَّفَرِ رَجُوعًا إِلَى دِيَارِكَ، بِشَرَطٍ وَاحِدٍ: أَنْ تَأْخُذِي صَغِيرَتِي مَسِي مَعَكَ.“ وَتَهَمَّلَ لِيَبْلَعَ رَيْقَهُ، ثُمَّ قَالَ: ”لَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ لِلْمَخْلُوقَةِ الصَّغِيرَةِ أَلَّا تَكُونَ لَهَا مَامَا“.

وَمَا لَبِثَ أَنْ نَهَضَ فَجَأَةً: ”سَأَتْرُكُكَ حَتَّى تُفَكِّرِي فِي الْأَمْرِ، سَيِّدَتِي. لَيْسَ لَدَيْنَا كَثِيرٌ مِنَ الْوَقْتِ“.

ثُمَّ دَارَ وَمَضَى بِخُطَى وَاسِعَةٍ. وَقَدْ بَيَّنَّ لَهَا ارْتِخَاءَ كَتِفَيْهِ كَمَا كَلَّفَتْهُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَكَّرَتْ غَاضِبَةً أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الرِّجَالِ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَعْرِضَ الزَّوْاجَ- بَلْ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الزَّوْاجِ أَيْضًا- عَلَى امْرَأَةٍ عَادَتْ تَوًّا مِنْ قَبْرِ زَوْجِهَا؟ فَأَحْسَتِ الْيَأْسَ يَنْبَعُثُ فِي دَاخِلِهَا. وَقَالَتْ لِنَفْسِهَا: أَفْضَلُ أَنْ أَمُوتَ؛ أَفْضَلُ أَنْ أَمُوتَ. وَلَكِنْ مَاذَا عَنِ طِفْلِ كَلِيمٍ؟ لَمْ تُرِدِ الْمَوْتَ لِصَغِيرِهِمَا، لَا مِنْ أَجْلِهَا وَلَا مِنْ أَجْلِ كَلِيمٍ. وَدَوَّمَ الْإِحْبَاطَ وَالْغَضَبَ وَالْحُزْنَ فِي أَوْصَالِهَا. يَا لَهُ مِنْ وَضْعٍ وَضِعَتْ فِيهِ! لَا أَحَدٌ، وَلَا شَيْءٌ، بَعِيدًا فِي هَذَا الرَّيْفِ الَّذِي تَخَلَّى اللَّهُ عَنْهُ. الْأَقْرَبَاءُ وَالْأَصْدِقَاءُ بَعِيدُونَ الْمَنَالِ، وَهِيَ وَحِيدَةٌ تَمَامًا. لَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّهُ كَانَ عَلَى حَقِّ. وَقَدِ احْتَاجَتْ إِلَيْهِ، وَكَرِهَتْهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

”أَكْرَهُ هَذَا الرَّيْفَ! أَكْرَهُهُ! وَأَكْرَهُ هَذَا الرَّجُلَ الْبَارِدَ الْبَائِسَ! أَكْرَهُهُ! أَكْرَهُهُ!“ وَلَكِنْ حَتَّى فِي أَثْنَاءِ انْقِضَائِهَا عَلَيْهِ، عَلِمَتْ أَنَّهَا لَا تَمْلِكُ سَبِيلًا لِلانْعِطَافِ وَالتَّمَلُّصِ. مَسَحَتْ دُمُوعَهَا، وَقَامَتْ عَنِ الْعُشْبِ الطَّلِيلِ. لَنْ تَنْتَظِرَهُ حَتَّى يَعُودَ بِأَسْلُوبِهِ الْمُسْتَعْلِي لِمَعْرِفَةِ قَرَارِهَا. هَكَذَا فَكَّرَتْ بَعْنَادٍ، ثُمَّ دَخَلَتِ الْعَرَبَةَ وَبَدَأَتْ تَحْزِمُ الْأَشْيَاءَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي تَدْعُوهَا خَاصَّتِهَا.